سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾



سورة الجمعة مدنيّة وآياتها إحدىٰ عشرة آية.

[١] افتتحت هذه السورة بالثناء علىٰ الله وتنزيهه عن صفات النقص والعيب: فأخبر سبحانه أن جميع من في السماوات والأرض ينزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته، وأنه المالك لكل شيء المتصرف في الأشياء بقدرته وحكمته، المنزه عن كل عيب ونقص، العزيز الذي كل شيء تحت تصرفه وقهره، الحكيم في جميع ما يصدر منه.

[٢] ثم أخبر جل وعلا أنه هو الذي أرسل رسوله ﷺ إلىٰ الأمة الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب وهم العرب، وهذا الرسول ﷺ اختاره الله منهم ومن أشرفهم، وهو لا يعرف القراءة والكتابة مثلهم، وقد أرسله سبحانه ليتلو عليهم آيات القرآن ويوضح لهم الأدلة والبراهين مع كونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وأيضًا يطهرهم من دنس الكفر والذنوب، ويعلمهم القرآن والسنة النبوية المطهرة، لأنهم كانوا قبل بعثته فيهم ومجيئه إليهم في ضلال واضح من الشر والكفر والتصرفات السيئة، مثل: وأد البنات، وإغارة بعضهم علىٰ بعض، والسلب والنهب، وهذا لا يعني أنه لم يكن فيهم موحد؛ بل كان فيهم موحدون مثل: ورقة بن نوفل وغيره، لكن لما كانوا قله صار الضلال عامًّا.

[٣] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل هذا الرسول ﷺ أيضًا في أقوام آخرين لم يأتوا بعد، من الأميين العرب ومن غيرهم من العجم؛ فهؤلاء سيتبعونهم علىٰ الهدىٰ وتعمهم التزكية، وقيل: لما يلحقوا بهم في الفضل؛ لأن الصحابة أفضل ممن جاء بعدهم، والله تعالىٰ وحده هو العزيز الذي بعظمته وقدرته مكّن هذا الأمي محمدًا ﷺ من إخراج هذه الأمة - بل الأمم - من ظلمات الجهل والضلال إلىٰ نور الإسلام، وهو صاحب الحكمة البالغة التي بها اصطفاه من سائر البشر.

[٤] واعلموا أيها الناس أن إرسال خاتم الرسل محمد ﷺ إلىٰ الناس جميعًا فضل وكرم من الله لهم، وشرَّف الله به العرب؛ حيث نزل القرآن بلغتهم، ولا شك أن هذا الإرسال فضل من الله يعطيه سبحانه لمن يشاء من خلقه، والله ذو الفضل الواسع الذي لا يساويه ولا يدانيه فضل.

[٥] ولما ترك اليهود العمل بالتوراة، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ضرب الله لهم مثلاً بأنهم كلفوا بالعمل بالتوراة وبما تضمنته من صفة الرسول ﷺ وطلب الإيمان به ومناصرته، ثم لم يمتثلوا بما احتوته؛ فهؤلاء مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل الكتب النافعة الضخمة، ولا يناله منها إلا التعب والعناء، فما أقبح هؤلاء مثلًا؛ لتكذيبهم بآيات الله التي جاءت علىٰ لسان رسوله ﷺ، والله لا يوفق ولا يرشد القوم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر وتكذيبهم للأنبياء. ويستفاد من هذه الآية أنه ينبغي لمن قرأ القرآن أن يعمل بما تضمنه لئلا يشمله هذا الوصف السَّيِّئ.

[٦] وقل يانبي الله لهؤلاء اليهود: إن كنتم تزعمون أنكم أولياء الله وأحباؤه من دون الناس فادعوا علىٰ أنفسكم بالهلاك واللعنة إن كنتم صادقين في زعمكم. وقد نهىٰ النبي ﷺ عن تمني الموت إلا عند التحدي والمباهلة؛ سواء كانت المباهلة بين طرفين كالتي حصلت بين رسول الله ﷺ وبين وفد نصارىٰ نجران، وهي المذكورة في آية (٦١) من سورة آل عمران، أو كانت المباهلة مطلوبة من طرف واحد كالتي طلبت من اليهود في هذه الآية، وكالتي في الآية (٩٤) من سورة البقرة؛ حيث طلب منهم الدعوة علىٰ أنفسهم باللعنة والهلاك إن كانوا كاذبين، فلم يفعلوا لأنهم موقنون أنهم كاذبون. وفي مسند أحمد عن ابن عباس: «ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار»[1].

[٧] ثم أخبر سبحانه أن اليهود لن يتمنوا الموت أبدًا؛ لأنهم عارفون أنهم كاذبون في زعمهم، وَلِمَا يعلمون من سوء أفعالهم وقبيح أعمالهم التي قدموها، والله عليم بالظالمين أمثال هؤلاء اليهود، وسيجزيهم بظلمهم عذاب الجحيم. يقول الشيخ السعدي في تفسيره: هذه مباهلة من طرف واحد وهم اليهود.

[٨] وقل يانبي الله لهؤلاء اليهود: إن الموت الذي رفضتم أن تتمنوه فإنه واقع بكم لا محالة، ثم ترجعون بعد مماتكم إلىٰ عالم غيب السماوات والأرض فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ثم يجازيكم علىٰ كل أعمالكم بما تستحقون.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢٥). والبزار في مسنده (٤٨١٤).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ
إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ
مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠
وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

## سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ
لَا يَفۡقَهُونَ ٣ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ
تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ
عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤



[٩] حث جل وعلا عباده المؤمنين علىٰ إجابة النداء للصلاة يوم الجمعة، فقال سبحانه: ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ إذا أذن المؤذن بين يدي الإمام وهو علىٰ المنبر في يوم الجمعة للصلاة فامضوا إلىٰ ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة، واتركوا المعاملة بالبيع والشراء، واعلموا أن ذلك الذي أمركم الله به خير لكم من التشاغل بالبيع والشراء وابتغاء النفع الدنيوي إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم.

ويوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع المسلمين والصلاة فيه وسماع الخطبة، وقد كان يسمىٰ قبل ذلك بيوم العروبة.

[١٠] فإذا فرغتم من أداء الصلاة أيها المؤمنون؛ فانتشروا في الأرض لطلب المكاسب والتجارات، واطلبوا الرزق من الله جل في علاه بالسعي والعمل، واذكروا الله ذكرًا كثيرًا في جميع أحوالكم - ولا تلهكم تجارتكم عن ذكر الله -، فمن أكثر من ذكر الله كان من المفلحين، الفائزين فوزًا عظيمًا.

[١١] ثم عاتب جل وعلا عباده المؤمنين الذين إذا رأوا تجارة قادمة، أو سمعوا أصواتًا مصاحبة للعير التجارية تعلن عن تجارتهم أنهم أحضروها للبيع؛ خرجوا من المسجد، وتركوك يانبي الله قائمًا، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم سمعوا تجارة قادمة وظنوا أنه بانتهاء الصلاة يصح لهم الانتشار لابتغاء الرزق؛ فذهبوا إلىٰ العير التجارية القادمة، وكان الرسول ﷺ يخطب؛ حيث إن الخطبة في ذلك الوقت كانت بعد الصلاة، ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء: اعلموا أن ما عند الله من ثواب الآخرة خير من اللهو والتجارة التي خرجتم إليها، ثم اعلموا أن الله خير الرازقين؛ لأنه مقسم الأرزاق.

## سورة المنافقون

سورة المنافقون مدنيّة وآياتها إحدىٰ عشرة آية.

[١] عندما كان المنافقون يأتون إلىٰ رسول الله ﷺ في مجلسه كانوا يقولون علىٰ سبيل الكذب والمخادعة: نشهد يامحمد أنك رسول من عند الله حقًّا، والله جل في علاه يعلم أنك لرسوله؛ فلست بحاجة إلىٰ شهادتهم، ثم كذبهم الله في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ﴾؛ فقال: والله يشهد إنكم أيها المنافقون لكاذبون؛ لأنه يعلم أنهم في ضمائرهم مكذبون، وأنهم لا يعتقدون ذلك.

والنفاق نوعان: اعتقادي وعملي، والمقصود بهذه السورة الأول وهو إظهار الإسلام واعتقاد الكفر.

[٢] واعلم يانبي الله أن هؤلاء المنافقين جعلوا أيمانهم الكاذبة التي حلفوا بها وقاية وسترًا لهم لئلا يساء بهم الظن فيلاحقون ويعذبون، ثم إنهم من خلال هذه الأيمان الكاذبة ستروا كفرهم، ومنعوا من يأنسون إليهم ويجالسونهم من الدخول في الإسلام، ومنعوا من أراد الإنفاق في سبيل الله وذلك بالتشكيك في رسالة النبي ﷺ، ثم اعلم أن هؤلاء المنافقين أسوأ كفرًا وضلالًا من الكفار الصرحاء، ولذلك كان عذابهم في الآخرة أنهم في الدرك الأسفل من النار.

[٣] ثم بين جل وعلا أن ذلك الذي أخبر به سبحانه من كذبهم وخداعهم وصدهم الناس عن سبيل الله؛ سببه أنهم نطقوا بالشهادة ظاهرًا ثم كفروا بقلوبهم، فختم سبحانه علىٰ قلوبهم؛ حيث صارت لا يدخلها الإيمان جزاء نفاقهم ومعاداتهم الكامنة في نفوسهم والظاهرة علىٰ تصرفاتهم، ثم أكد سبحانه بأنهم قوم لا يعرفون الخير والإيمان.

[٤] ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ فقال له: وإذا رأيت يانبي الله هؤلاء المنافقين أعجبتك هيئاتهم ومناظرهم وأجسامهم، وإن تكلموا تسمع لكلامهم؛ لفصاحتهم وحلاوة منطقهم، وفي الحقيقة إنها أجسام خاوية من العلم والخشية من الله؛ كأنها خشب مستندة إلىٰ جدار لا تشفع ولا تنفع كما يقال، ثم ألا ترىٰ أنهم كلما سمعوا صوتًا مرتفعًا أو جلبة في معسكر ونحوه ظنوا أنها موجهة إليهم بسبب جبنهم وذلهم، واعلم يانبي الله أن هؤلاء المنافقين هم الأعداء الحقيقيون لك وللمؤمنين؛ فاحذرهم وحذر المؤمنين منهم، لعنهم الله وأخزاهم؛ بسبب مسالكهم وأفعالهم القبيحة، والعجب كيف يرون الحق واضحًا أمامهم ثم يصرفون عنه إلىٰ الضلال والنفاق؟.